Journal of Management, Organizations and Strategy JMOS
Spatial and entrepreneurial development studies laboratory
Year: 2024 Vol.6 No.1 pp: 29-38

Interpreting The Phenomenon of Social Marginalization in Light of Pierre Bourdieu's Theory of Practice

Awatef Atil-Lemoueldi[1]

[1]*Chadli Ben djedid University Algeria, atil-awatef@univ-eltarf.dz*

ARTICLE INFO

Article history:
Received:21/04/2024
Accepted:27/04/2024
Online:27/05/2024

Keywords:
Social marginalization
Domination
Exclusion
Field
JEL Code: Z13

ABSTRACT

The French sociologist Pierre Bourdieu is considered one of the most prominent contemporary sociologists, who was interested in understanding and studying the phenomenon of social marginalization, by focusing on the mechanism of the dominant social group's preservation of the submissive social group, the latter of which suffers marginalization and exclusion from those who possess power and influence, so that the dominant group devotes practices that allow... It has the right to remain in the desired position within the specific field, which represents a space of struggle between dominant and subordinate social groups for the sake of possessing certain capitals. Accordingly, we wanted to explain the phenomenon of social marginalization in various social environments (specific fields) in the light of practice theory, which we consider to be one of the most capable and appropriate theoretical approaches to understanding the mechanisms of marginalization as well as its multiple manifestations.

تفسير ظاهرة التهميش الاجتماعي على ضوء نظرية الممارسة لبيار بورديو

عواطف عطيل[1]

[1] جامعة الشاذلي بن جديد– الطارف، الجزائر، atil-awatef@univ-eltarf.dz

معلومات المقال

تاريخ الاستقبال:2024/04/21
تاريخ القبول:2024/04/27
تاريخ النشر:2024/05/27

الكلمات المفتاحية

التهميش الاجتماعي
الهيمنة
الإقصاء
الحقل

JEL Code:Z13

الملخص

يعد عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو أحد أبرز علماء الاجتماع المعاصرين، الذين اهتموا بفهم ودراسة ظاهرة التهميش الاجتماعي، وذلك بتركيزه على آلية محافظة الفئة الاجتماعية المهيمنة على الفئة الاجتماعية الخاضعة، هذه الأخيرة التي تعاني التهميش والاستبعاد ممن يملكون القوة والنفوذ، بحيث تكرس الفئة المهيمنة ممارسات تتيح لها البقاء في المكانة المرغوبة داخل الحقل النوعي، والذي يمثل فضاء للصراع بين الفئات الاجتماعية المهيمنة والخاضعة لأجل امتلاك رساميل معينة. وعليه، أردنا تفسير ظاهرة التهميش الاجتماعي في مختلف البيئات الاجتماعية (الحقول النوعية) على ضوء نظرية الممارسة، التي نعتبرها من أقدر وأنسب المقاربات النظرية، لفهم آليات اشتغال التهميش وكذا تجلياته المتعددة.

*Corresponding Author: Awatef Atil Lemoueldi.

(cc) BY-NC

- مقدمة:

عانت المجتمعات الإنسانية، منذ عصور تاريخية متقادمة من أشكال متعددة من ظواهر التهميش والإقصاء الاجتماعيين، تمظهرت في التفاوت الطبقي والتمييز العنصري والعقائدي..، فاجتهد العلماء والباحثين من مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية وعلى رأسها علم الاجتماع، في البحث حول العوامل المفضية إلى تشكل ظاهرة التهميش الاجتماعي، وإن كانت أغلب الآراء والأطر التفسيرية خاصة منها الماركسية، تعتبر التهميش الاجتماعي، نتاجا لغياب المساواة الاجتماعية داخل المجتمعات الرأسمالية، أين تنفرد الأقلية ذات النفوذ بالثروة والمكاسب المادية، في مقابل حرمان الأغلبية من الأفراد منها، فتنشأ بذلك الفجوة بين طرفين أحدهما مهيمن والأخر خاضع ومهمش. أو بالأحرى، هو تجلي للإخلال بمبادئ الديمقراطية، التي تضمن تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية، بين كل المواطنين في الدولة.

غير أن عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو P. Bourdieu قد قدم إطارا تفسيريا مغايرا ومختلفا، ضمن نظرية الممارسة، والتي نعتبرها الأنسب والأقدر على تفسير ظاهرة التهميش الاجتماعي، والتي يمكن أن نفهم عبرها طرق استمرار الهيمنة من طرف فئة أو طبقة اجتماعية معينة، بالتزامن مع استمرار استبعاد وإقصاء فئات أو طبقات اجتماعية أخرى، وهي تجيبنا عن كيفية الاستقرار الطبقي على مر التاريخ والتمايز الاجتماعي تباعا. وعليه، أردنا من خلال هذه المداخلة إسقاط نظرية الممارسة لبورديو على الواقع الاجتماعي في المجتمعات النامية بما فيها المجتمع الجزائري، في محاولة منا تفسير ظاهرة التهميش الاجتماعي على ضوئها. فماذا نقصد بالتهميش الاجتماعي؟ وكيف يمكن تفسيره على ضوء نظرية الممارسة لبورديو؟

1- مفهوم التهميش الاجتماعي ضمن أدبيات علم الاجتماع:

يستخدم مصطلح التهميش الاجتماعي على نطاق واسع في دراسات علم الاجتماع، حيث لوحظت على مر التاريخ العديد من عمليات التهميش الاجتماعي، التي تتسم خصائصها بالخطر، تماما كالتمييز العنصري والصراع ضد الأقليات الطائفية والعرقية، مما يجعل بعض فئات المجتمع غير مرئية، فيتم ركنها على الهامش، إما من خلال الثقافة السائدة، أو من خلال السياسات الحكومية، مما يخلق حالة من الظلم الاجتماعي، الأساس فيها غياب المساواة الاجتماعية، والذي يعتبر من بين أهم مؤشرات التوتر الاجتماعي داخل أي مجتمع.

وقد ارتبط مفهوم التهميش الاجتماعي وكل المصطلحات ذات الصلة، مثل: الإقصاء والحرمان والاستبعاد الاجتماعي بنموذج الإنتاج الرأسمالي، الذي ساد خاصة المجتمعات الأوروبية عهد ازدهار التصنيع، نظرا لعدم التوزيع المتكافئ للثروة. يضاف إلى ذلك، النظام الإيديولوجي للمجتمع العلماني، وتنامي الفردية، لأن هذا يمنع توطيد خطاب ملزم. وبالتالي، فإن الفردية المتزايدة كشكل من أشكال الثقافة، تمنع إعطاء كل موضوع مكانا للانتماء إلى المجتمع، مما يبرز التهميش الاجتماعي.

ويعد علماء الاجتماع أول من وضعوا معالم هذا المفهوم، ويستخدم كل من مفهوم التهميش والإقصاء للدلالة على المعنى نفسه، والذي يشير إلى "السبل التي تسد فيها المسالك أمام أعداد كبيرة من الأفراد للانخراط الكامل في الحياة الاجتماعية الواسعة" (غدنز، 2005، صفحة 394).

أما الجماعات المهمشة فهي تلك الجماعات الاجتماعية، التي لا تستطيع الوصول إلى السلع والخدمات، إذ تتلقاها الجماعات المتكاملة من المجتمع المهيمن (الكهرباء، الماء، الاتصالات، الغذاء) بسبب الانقسام في النظام. وبالمثل، يعني التهميش أيضا استحالة الموضوع المهمش أو المجموعة الاجتماعية، للحصول على التدريب وفرص العمل (التعليم والعمل اللائق) بمعنى آخر، عدم التمكين.

كما نرى، يرتبط التهميش بمشكلة **الطبقة الاجتماعية**، وإن لم يكن بشكل حصري. هذا هو الشكل الأكثر انتشارا للتهميش، ولكنه أيضا الأكثر "تجنيسا"، أي أنه غير المرئي. على عكس التهميش بسبب التمييز العنصري والجنسي، وهو أمامي ومتعمد ويستجيب للتحيزات الثقافية، ناهيك عن تهميش الفقراء، الذي يحدث في معظم الأحيان، بسبب اللامبالاة المطلقة.

وعلى العموم، فإن مصطلح التهميش Marginalization يشير إلى "الواقع الاجتماعي والاقتصادي لمن يعيشون خارج الأطر الاجتماعية التقليدية")عوض, 2012(، أو لنقل من يعانون من ضعف/ أو عدم القدرة على الاندماج الاجتماعي الكامل، *داخل مجتمعاتهم*. كما يقصد به "عملية حرمان فرد أو مجموعة من الأفراد، من حق الوصول إلى المناصب الهامة، أو الحصول على الرموز الاقتصادية أو الدينية أو السياسية للقوة في أي مجتمع" (مارشال، 2000، صفحة 493). علما أن التهميش الاجتماعي، قد يكون غير إرادي، مثلما هو مبين في التعريفات السابقة، في حين قد يكون إراديا كذلك، وهو ما يمكن أن ندرج ضمنه بعض النخب المثقفة، وكذلك الجماعات الإرهابية والمتطرفة..، والتي تعتقد أن البيئة الاجتماعية التي تنتمي إليها، لا تتوافق وأفكارها ومواقفها.

2-بيار بورديو جهبذ السوسيولوجيا المعاصرة:

بيار بورديو Pierre Bourdieu عالم اجتماع فرنسي، وأحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع، ولد في 01 أوت سنة "1930 في دينغين Denguin في البيرينيه الأطلسية Pyrénées Atlantiques", Bourdieu) (Pierre, 2006، وهو الابن الوحيد لعائلته، والده موظف حكومي في مكتب البريد، ينحدر من أصل ريفي. تزوج **بيار** في **02** نوفمبر سنة **1962** ورزق بثلاثة أطفال. درس في ثانوية بو Pau وفي ثانوية لوي لو غران Louis le Grand وفي كلية الآداب بباريس، وبالمدرسة العليا للأساتذة (بزاز، 2007، صفحة 15)، وكان من المتفوقين دراسيا. وبعد تحصله على "شهادة التبريز Agrégation في الفلسفة سنة 1954" (بوطقطوقة). عين أستاذا بثانوية مولان Moulins سنة 1955، كما درس على التوالي في كلية الآداب بجامعة **الجزائر** في الفترة ما بين **1958** و **1960** أين شرع في أولى أبحاثه حول التحولات البنيوية الاجتماعية في المجتمع الجزائري، ثم عاد إلى فرنسا ودرّس في **السوربون**، ثم في جامعة ليل Lille بين 1961 و1964، وابتداء من **1964** عيّن مدير أبحاث في **المدرسة التطبيقية العليا** والتي أصبحت فيما بعد المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية E.H.E.S.S.

وحينما طبع تحقيقاته الأولى حول المدرسة والممارسات الثقافية (الورثة، فن متوسط)، توقع له ريمون آرون R. Aron أن يصبح "مهما" في المستقبل. وفي سنة **1981** رسّم في كرسي علم الاجتماع بالكوليج دو فرانس Collège de France وهي أعلى هيئة علمية في فرنسا، وبالموازاة مع ذلك، فهو يشغل منصب مدير في المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية، ومديرا لمركز علم الاجتماع الأوروبي، ويشرف على مجلة "أعمال البحث في العلوم

الاجتماعية Actes de la Recherche en Sciences Sociales" منذ تأسيسها سنة **1975**" (بزاز، 2007، صفحة 16). وحول نشأته يقول بورديو:

"من الواضح أن التحول الذي قمت به، للمجيء إلى علم الاجتماع، لم يكن دون علاقة مع مساري الاجتماعي، لقد قضيت الجزء الأكبر من شبابي، في قرية صغيرة ونائية، في الجنوب الغربي لفرنسا، ولم أتمكن من إرضاء طلبات المؤسسة المدرسية، إلا بالتخلي عن الكثير من تجاربي وعن مكتسباتي الأولية، وليس فقط عن نوع معين من اللهجة ... في فرنسا كوننا نأتي من محافظة بعيدة تقع جنوب نهر اللوار Loire، يعني أننا نحمل عددا من الخصائص معادلة للوضعية الكولونيالية. إن نوع العلاقة الخارجية الموضوعية والذاتية المترتبة عن ذلك، تساعد على وجود علاقة خصوصية جدا، مع المؤسسات المركزية للمجتمع الفرنسي، وبالخصوص مع العالم الفكري. توجد أشكال حذقة للعنصرية الاجتماعية التي لا يمكن إلا أن تذكي شكلا من أشكال النباهة، ولكوننا دائما نذكر بأجنبيتنا، فهذا يدعو إلى إدراك أشياء، لا يستطيع الآخرون رؤيتها أو الإحساس بها، وعلى الرغم من أنه صحيح أني إنتاج المدرسة العليا للأساتذة، ولكن إنتاج خانها" (Bourdieu & Wacquant, 1992, pp. 176-177).

يؤكد بورديو من خلال ما صرح به، أن اكتساحه للحقل السوسيولوجي لم يكن اعتباطيا، وإنما تمخض عن تلك الظروف الاجتماعية المختلفة (انحداره من أصل ريفي وانتماءه إلى طبقة عمالية عادية)، التي نشأ وترعرع فيها، وأثرت على نفسيته بعدها، إذ اعترف بأنه المنتج الذي خان منتجه، ليس من باب الجحود، بل لأنه لم يستطع إحداث قطيعة مع أصله الاجتماعي وثقافة طبقته. لأن طفل الطبقة الدنيا، ملزم بأن يعيش قطيعة، بين ثقافة طبقته وثقافة مدرسته، مما يجعل هذه الأخيرة غريبة وبعيدة عنه. ولكي يتوافق دراسيا معها، عليه أن يتخلص من رواسب ثقافته، ويتعلم طرائق جديدة في التفكير واللغة والسلوك. عكس طفل الطبقة البورجوازية، الذي يعيش استمرارية وتكاملا، بين ثقافة طبقته وثقافة مدرسته. فالمدرسة حسب بورديو أداة خفية، للهيمنة على ثقافة الطبقات الوضيعة، في المجتمع الفرنسي، وهو لم يخف شعوره بالنقص، حيال الآخرين من أبناء الطبقات البرجوازية، وأنه كان يجد نفسه مختلفا عنهم، حتى من حيث الممارسات المبتذلة. إن هذا التموضع الذي فرضه عليه المجتمع، من خلال المدرسة، كان مصدر شعور بورديو بالتهميش، كما كان الدافع والخلفية الرئيسية، لاتجاهه إلى التخصص في علم الاجتماع بعد الفلسفة، فشكل التمايز الطبقي، والثقافة المهيمنة (العنف الرمزي)، والرأسمال الثقافي، موضوعاته المفضلة والممتازة. وفي هذا السياق يقول بورديو:

"من الطبيعي أنه عندما أثرت الانتباه في كتاباتي، حول مفعول وتأثير الأصل الاجتماعي، أن أكون دائما معرضا لأسئلة شخصية أو لتساؤلات، والتي أحاول مقاومتها دون شك، للإفلات من كل نوع من الخصوصية، حتى وإن كانت سلبية، ولكن كذلك للدفاع عن الاستقلالية، وهي غالية الثمن، بالنسبة لخطابي تجاه الشخص الخصوصي المتمثل في أنا، وهذا لا يعني أن هذا الشخص يستطيع أن يفلت من التموضع، يمكن أن أكون محل تموضع كما هو حال كل الناس، وككل الناس لدي الذوق والأفضليات، التي تتطابق مع الموقع الذي أحتله، في الفضاء الاجتماعي، إنني مصنف اجتماعيا، وأعرف جيدا الموقع الذي أحتله في التصنيفات الاجتماعية. إذا فهمتم عملي، يمكنكم استخلاص عددا من الخصائص الدالة على معرفتي لهذا الموقع، وما أكتب عنه" (Bourdieu & Wacquant, 1992, pp. 175-176).

حصد بورديو خلال مساره الفكري عددا من الأوسمة والجوائز والميداليات التقديرية، نذكر من بينها: منحه المركز الوطني للبحث العلمي CNRS تمييزه الأعلى وهو الميدالية الذهبية عام 1993، وجائزة غوفمان من جامعة كاليفورنيا–بركلي عام **1996**، وميدالية **هوسكلي** من الجمعية الملكية البريطانية للأنثروبولوجيا عام **2002**، نظير إسهاماته الأنثروبولوجية القيمة.

توفي الجهبذ بيار بورديو في 23 جانفي 2002 عن عمر ناهز **72 عاما**. أنتج بيار بورديو خلال مساره الفكري ما يزيد عن **30 كتابا**، والمئات من المقالات والدراسات، التي ترجمت إلى أشهر اللغات في العالم، والتي جعلته يتبوأ مكانة بارزة، بين الأسماء اللامعة في علم الاجتماع، والفكر النقدي، منذ نهاية الستينيات، من القرن العشرين. فقد لامس ميادين متعددة وبكرا، بدأت مع المسكن القبائلي الجزائري، والحقل المدرسي والفني، مرورا بالأزياء الراقية، وأنماط العيش ومشكلة **النوع Le Genre** وصولا إلى بؤس المهمشين ومؤسسة الدولة، ووسائل الإعلام والنظام العالمي.

ومن أبرز أعماله نذكر:

- سوسيولوجيا الجزائر Sociologie de L'Algérie (1958)
- حب الفن L'amour de L'Art (1966)
- إعادة الإنتاج La Reproduction (1970)
- التمييز La Distinction (1979)
- بؤس العالم La Misère du Monde (1993)
- الهيمنة الذكورية La Domination Masculine (1998)

ومن بين أهم أعماله التي ترجمت إلى اللغة العربية، نذكر:

- العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، ترجمة: نظير جاهل، 1994
- قواعد الفن، ترجمة: إبراهيم فتحي، 1998
- التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة: درويش الحلوجي، 2004
- إعادة الإنتاج، ترجمة: ماهر تريميش، 2008
- السيطرة الذكورية، ترجمة: أحمد حسان، 2001. ثم الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، 2009
- أسئلة في علم الاجتماع، ترجمة: هناء صبحي، 2012.

3- مبادئ نظرية الممارسة:

تكتسب نظرية الممارسة أهميتها في العلوم الاجتماعية من قدرتها التفسيرية المتنوعة والملائمة، لكشف طبيعة الظواهر الاجتماعية المختلفة، خاصة ما تعلق بتفسير التباينات الاجتماعية والثقافية في ان معا. ولفهم النظرية يتوجب الرجوع إلى المفاهيم الكبرى في الفكر البورديوسي، إذ تتبني نظرية الممارسة لبيار بورديو على مفاهيم مركزية تعد مبادئ لها، لذلك يتطلب فهمها في البداية، وتتجلى في الحقل Field والرأسمال Capital والأبيتوس Habitus، يمكن تلخيص دلالة كل من هذه المفاهيم حسب بورديو على النحو التالي:

1- الحقل:

يطلق **بورديو** مصطلح "حقل" على مختلف الميادين في الحياة الاجتماعية، مثل: الحقل الاقتصادي، الحقل السياسي، الحقل الثقافي، غير أن هذه الحقول –حسب **بورديو**– وعلى الرغم من استقلالها النسبي عن بعضها البعض، فإن ذلك لا يعني غياب التأثيرات والتفاعلات بينها. وبالنسبة إليه، فإن العالم الاجتماعي (الحياة الاجتماعية) تمثل الحقل الاجتماعي العام وميادينها هي حقول متخصصة، ولكل حقل قوانينه وعلاقاته، غير أن ما يميز هذه العلاقات بين المشتغلين في الحقل هو الصراع لأجل امتلاك رأسمال نوعي، لذلك يعتبر بورديو الحقل فضاء للصراع الاجتماعي، بين فاعلين اجتماعيين غير متساويين في القوة.

2– الرأسمال:

يستخدم مصطلح الرأسمال للدلالة على كل ما يسعى الأفراد لامتلاكه في حقل خصوصي، وهو موضوع الصراع بين الأفراد داخل الحقل، فالحقل الثقافي حسب بورديو ينقسم إلى نوعين أحدهما موروث، وهو كل ما يناله الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية، مثل عناصر البنية العقلية ومفردات اللغة، والآخر مكتسب، ويشمل المؤهلات التعليمية للفرد، كالشهادات العلمية والتحكم في لغة أجنبية والمناصب العليا في مؤسسات الحقل، مثلما هو المال ووسائل الإنتاج..، التي تعد رؤوس مال نوعية في الحقل الاقتصادي، أما بالنسبة للحقل الاجتماعي فإنه يشمل الصلات أو العلاقات الاجتماعية للفاعلين (من حيث النوعية خاصة). ويمكن أن نوضح ذلك بما يلي:

إن تراكم النفوذ، سواء عن طريق علاقات القرابة والعلاقات الاجتماعية، أو عن طريق زيادة مساحات امتلاك الأرض، يعتبر جزءا من أجزاء العلاقات الاقتصادية. فالفرد الذي يتمتع بمركز ممتاز مصحوب بالاحترام والشرف، فإنه يتمتع بحظوة يمكن أن يستخدمها في عقد الاتفاقيات الاقتصادية داخل جماعته (بيار، 1992، صفحة 164).

3– الأبيتوس/ أو الهابيتوس:

يمثل **الأبيتوس Habitus** نظاما مركبا من الاستعدادات بين ما هو فطري في الفرد أو بالأحرى ما هو وراثي ومتضمن في شخصيته (بنيات ذهنية)، وبين ما هو اجتماعي مكتسب (بنيات موضوعية) من بيئته الاجتماعية كالبيئة الأسرية، المدرسية..، لذلك فإن من خواص الأبيتوس التغير فهو غير ثابت، فالبيئات الاجتماعية المختلفة التي يتفاعل داخلها الفرد تؤثر في الأبيتوس الخاص به، فقد تضيف إليه أو تعيد تشكيله أو تعدل فيه. ونشير في ذات السياق، أن بورديو يصنف الأبيتوس إلى نوعين أبيتوس فردي، وأبيتوس طبقي أو اجتماعي، فالأفراد المنتمين إلى الطبقة الاجتماعية نفسها، يشتركون في الخصائص الثقافية والنفسية نفسها، أو بمعنى اخر يشتركون في الأبيتوس نفسه.

تدمج نظرية الممارسة بين النظرية البنيوية ونظرية الفعل الاجتماعي، كون النظرية البنيوية تهمل الفاعل الاجتماعي وتجعله خاضعا للبناء الاجتماعي ونتاجا له، فالأسرة المحافظة تنجب أفرادا محافظين وبالتالي فهم يسلكون ويتصرفون بحسب ما اكتسبوه داخل أسرتهم (البنية الاجتماعية). فيما تستبعد نظرية الفعل الاجتماعي تأثيرات البنية الاجتماعية على سلوك وممارسات الأفراد، لتجعل منهم فاعلين أكثر منهم أعضاء في بنية ما، إذ يقوم الأفراد بالمشاركة في إنتاج البناء الاجتماعي، وليس مجرد أداء أدوار داخله.

لقد تجاوز بورديو قصدا مبادئ النظريتين، ليؤسس مبادئ نظرية الممارسة، التي لا تهمل تأثير البنية الاجتماعية على الأفراد ولا تغفل في الوقت نفسه إرادتهم ووعيهم في إنتاج مختلف أنماط أفعالهم وسلوكاتهم وممارساتهم الاجتماعية.

ينظر بورديو لأنماط المجتمعات تبعا لتنوع الممارسات، فهناك مجتمعات قديمة لا يوجد فيها تنوع في الممارسات، حيث تتسم البنى الموضوعية بالانسجام والثبات الدائم، ويتم إعادة إنتاج البنى العقلية على نحو كامل، وتفرض نفسها باعتبارها صحيحة وشرعية. وهذا الانسجام بين البنى الموضوعية والعقلية يسمى بالعقيدة السائدة **Doxa** (Harker, Maher, & C, 1990, p. 16)، وفى المقابل هناك مجتمعات متقدمة (صناعية) تتسم بالتنوع في الممارسات، حيث تتنوع بداخلها البنى الموضوعية، وكذلك تتنوع البنى العقلية، وتتصف عملية إعادة إنتاج الممارسات في هذه المجتمعات بالتعقيد الشديد، وتساهم فيها النظم الاجتماعية المختلفة. هذا، ويتحدد إنتاج الممارسات عند بورديو على الموقع الذي يحتله الفاعل في الفضاء الاجتماعي، وأيضا على الحقل الذي تتم فيه هذه الممارسات.

فالحقل حسب بورديو هو فضاء يبرز فيه الصراع على امتلاك الرساميل النوعية، وذلك بين طرفين غير متساويين في القوة، أحدهما مهيمن والأخر خاضع أو المهمش، غير أن هذه لا تعتمد على العنف المادي أو اللفظي، بل تقوم على العنف الرمزي وهو ذلك النمط اللطيف من العنف، الذي لا يشعر به المهمشين، ويعتقدون أنه متضمن في البناء الاجتماعي، بينما هو عبارة عن استراتيجية Strategy للمحافظة على الموقع أو المكانة داخل الحقل، والاحتفاظ بالتالي بالمزايا والرأسمال النوعي، وتسمى هذه الطبقة أو الفئة المهيمنة بالجماعة المكرسة، التي تسعى إلى استبعاد من لا تجمعهم بهم خصائص ثقافية أو اقتصادية معينة أو مصالح محددة. ومن ثم، فإن مفهوم **الممارسة Practice** حسب بورديو يركز على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي، إذ هي العلاقة التي تنتهي بأن يقوم الفاعلون بإعادة إنتاج هذا البناء، عن طريق تبني استراتيجية مرنة، تضم قوانين أو قواعد Rules معروفة اجتماعيا.

إذن، لا تنفصل كل أعمال ومقاربات بورديو أو سوسيولوجيا بورديو، عن نظرية الهيمنة Domination/ Dominance، والتي تمثل في حد ذاتها نموذجا تفكيريا، يتأسس على علاقات الهيمنة بين طرفين، أحدهما مهيمن Dominant والآخر مهيمن عليه (خاضع) Le Dominant، وتعتمد هذه الهيمنة على موقع الفاعلين ومواردهم (حجم وبنية الرأسمال) واستراتيجيتهم.

ونشير ضمن هذا السياق، أن الهيمنة التي يعنيها بورديو هي تلك التي تعمل بالشكل الذي يضمن الحفاظ على النظام الاجتماعي، دون اللجوء إلى الإكراه، إذ تعتمد على وضع الفاعلين ومواردهم واستراتيجيتهم. كما يمكن العثور فيها على قنوات، بحيث تبدو وكأنها هي نفسها فعليا، والتي تميل إلى إخفاء الاختلافات الجوهرية، الأمر الذي يعيدنا في النهاية إلى قدرة المهيمن عليهم، على فهم وتحدي ظروف وجودهم. لذلك، يجب تمييز الهيمنة الرمزية عن الدكتاتورية وعن الاستبداد، والتي هي أنظمة يسود فيها الإكراه ويطبق تعسفيا، دون معايير تنظيمية. وهكذا، لا تستند السلطة الرمزية على القوة المادية، ولا حتى على الشرعية. إنها في الواقع تجعل من هذين البعدين عديمي الفائدة، كما هو حال الدولة التي لا تحتاج بالضرورة إلى إعطاء الأوامر، وممارسة الإكراه المادي، أو الإلزام التأديبي لإنتاج عالم اجتماعي منظم، طالما أنها قادرة على إنتاج بنى معرفية إدماجية، تكون متوافقة مع البنى الواقعية، وذلك لضمان الخضوع الكلي للنظام القائم.

هذا، ويصنف بورديو الاستراتيجيات إلى نمطين: استراتيجيات إعادة الإنتاج Reproduction Strategy واستراتيجيات إعادة التحويل Reconversion Strategy، تهدف الأولى للحفاظ على الوضع الاجتماعي أو تحسينه، وتعتمد على حجم رأس المال وحالة أدوات (ميكانيزمات) إعادة الإنتاج، مثل: قوانين الإرث، وسوق العمل، والنظام التعليمي، وترتبط حالة هذه الأدوات بحالة علاقات القوة بين الطبقات. بينما يعد النمط الثاني من الاستراتيجيات هو المسئول عن الحركات داخل الفضاء الاجتماعي، مثل إعادة تحويل رأس المال الاقتصادي إلى رأس مال تعليمي. وهى العملية التي تتيح للأغنياء الاحتفاظ بأوضاعهم المتميزة بشكل مشروع (Harker, Maher, & C, 1990, pp. 18–19).

ويؤكد بورديو أن كل ممارسات الفاعلين تحددها مصالحهم أو منفعتهم، وبذلك ينفى وجود أفعال مجانية أو بلا غرض، ولا يقصد بورديو بالمصلحة المفهوم الاقتصادي الضيق، ولكنه يقصد المصلحة بمفهومها الواسع، والذى يشمل المصلحة الرمزية والربح الرمزى (بورديو، 1966، صفحة 176). وقد مكنت هذه الفكرة بورديو من تحليل حقول تتناقض فيها الأفعال مع المصلحة الاقتصادية، مثل: الحقل الأدبي، الحقل الفني والحقل الثقافي.

4- آلية الهيمنة والتهميش بحسب نظرية الممارسة:

مثلما تعتبر حقول العالم الاجتماعي المختلفة (السياسة، الدين، الاقتصاد..)، فضاءات عملية لإعادة إنتاج التراتبيات والتمايزات الاجتماعية والطبقية، فإنها تعتبر كذلك حقولا تخضع لمنطق خاص في "اللعب"، وذلك وفقا لاستراتيجيات اجتماعية وثقافية يتصارع في إطارها الفاعلون –دون القطيعة مع البنيات المنتجة لهم وانسجاما مع هابيتوساتهم– من أجل الحصول على رساميل ثقافية ورمزية، تعزز المنطق التناظري والوظيفي لإنتاج الحقول الاجتماعية، بما يتوافق والحفاظ على "التمايزات" والاختلافات الطبقية المنظمة للإنتاج وإعادة إنتاج المجتمع نفسه.

وبالرجوع إلى الأعمال البحثية لبورديو حول اليات الهيمنة، سنجد أنه قد تناول في كتابه الموسوم "إعادة الإنتاج La Reproduction" الذي نشره عام **1970** مع صديقه جون كلود باسرونJ. C. Passeron أن المدرسة الفرنسية الرأسمالية، لا تتيح الحظوظ نفسها لكل المتعلمين في تحقيق النجاح المدرسي، بل إنها أداة خفية لتطبيق اللامساواة الاجتماعية، حيث أن الثقافة التي تقدمها للمتعلمين ليست بالمحايدة ولا الموضوعية، وإنما هي ثقافة الطبقة المهيمنة والحاكمة. فالمدرسة تفرض على المتعلمين معايير ثقافية ولغوية تكون أقرب إلى ثقافة ولغة الطبقة الراقية منها إلى الطبقة الشعبية البسيطة، وبذا فالمدرسة تهمشهم اجتماعيا، من خلال تهميش ثقافتهم. فالمدرسة والحال هذه، تعد حقلا لإنتاج وإدارة التمايزات الطبقية، انطلاقا من "السلطان البيداغوجي للامتحان"، الذي يمثل "عنفا رمزيا" يحظى بالشرعية والقبول والتبرير من قبل المهيمنين كما المهيمن عليهم، ويسمح بانتقاء المحظوظين اجتماعيا، الذين تسمح لهم هابيتوساتهم، استعداداتهم القبلية، حسهم العملي ورساميلهم المادية والرمزية، بالتكيف مع شروط عمله، وإقصاء أولئك الذين لا تسمح "سننهم" ومواقعهم الاجتماعية، بتجاوز "طقوس عبوره" الأساس.

يمكن تطبيق نظرية الممارسة على عملية التوظيف في المؤسسات أو الشركات الخاصة، حيث تعد شروط انتقاء الموظفين بحسب ما يتوافق ومصلحة الجماعة المهيمنة في المؤسسة، فتدرج شروط مسابقة التوظيف كاستراتيجية للإبقاء على الجماعة نفسها أو توظيف من هم يشتركون في الخصائص الثقافية والاجتماعية نفسها، أو تجمعها ذات

المصلحة، فشروط المسابقة تعمل دون أن يشعر المترشحون لمسابقة التوظيف على تهميش وإقصاء الأفراد غير المرغوب فيهم، من طرف الجماعة المهيمنة أو على حد تعبير بورديو الجماعة المكرسة، هذه الأخيرة التي تضم الموظفين القدامى، الذين يحاولون الاستمرار في تحقيق مصلحتهم الخاصة، كأن يكون من بين الشروط إتقان اللغة الألمانية مثلا، لأن من بين أفراد الجماعة المكرسة من تجمعه علاقة قرابة مع من يتقنها، أو أن يشترط سبعة 07 سنوات كأدنى حد للخبرة المهنية المطلوبة، وذلك لتحقيق الغرض نفسه. وهكذا، يمكن القياس على كل الشروط التي تكون تعجيزية وإقصائية بالنسبة للمترشحين، وفي المتناول بل ومقدور عليها من طرف المترشحين الاخرين أصحاب النفوذ والمصلحة المشتركة.

خاتمة:

تمثل نظرية الممارسة واحدة من أقوى النظريات السوسيولوجية المعاصرة، التي قدمت تفسيرا موضوعيا عن تشكل ظاهرة التهميش الاجتماعي، واستمرار التمايزات الاجتماعية عبر التاريخ، كونها لا تغفل تأثير البنية الاجتماعية على الأفراد الذين يشاركون هم أنفسهم في بناءها، لأجل إقصاء الاخرين وتهميشهم، وذلك لغرض إبقاء المصالح والأوضاع على حالها، وبذلك فهي لا تغفل أيضا أهمية الفاعلين في التأثير على البنية الاجتماعية، داخل حقل خصوصي.

التوصيات:

- سن قوانين صارمة تعاقب كل من يستغل منصبه أو نفوذه داخل مؤسسات الدولة لتحقيق مصلحة شخصية.
- تمكين كل الأفراد من حقوقهم وإشباع حاجاتهم المطلوبة دون اللجوء إلى أساليب المماطلة والبيروقراطية
- الاهتمام بتنمية المناطق الريفية والحدودية بقدر يضمن كرامة المواطنين ويتيح لهم الاستفادة من مختلف المرافق بالشكل المماثل له في المدن.
- إدراج النشاطات التشاركية والتعاونية ضمن برامج التعليم خاصة لتلاميذ مرحلتي الروضة والابتدائي.
- توفير مناصب العمل وفرص التكوين للاستفادة من الشباب واستغلالهم لخدمة الوطن وتنميته بدل دفعهم نتاج الانتشار الواسع للبطالة إلى الهجرة غير الشرعية أو البحث عن دخل بطرق مشبوهة وغير قانونية.
- تشجيع الباحثين والمختصين خاصة في حقل العلوم الاجتماعية على دراسة ظاهرة التهميش الاجتماعي والبحث في عوامل ظهورها وانعكاساتها كموضوعات لأطروحات ورسائل التخرج أو موضوع بحث لفرق المخابر.
- التصدي للانتشار الأحياء المتخلفة (خارج مخططات الدولة) واحتواء المناطق الريفية وبخاصة المنعزلة منها وذلك بإدراجها ضمن مخططات التنمية العمرانية والحضرية، وبتوفير مختلف المرافق الضرورية لاستقرار الأفراد وتمتعهم بحياة كريمة.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

Bourdieu, Pierre. (2006). Encarta microsoft corporation.

An Introduction to the Work of Pierre Bourdieu. (1990). Harker، H Maher، Wilkes C &. London: Macmillan.

Paris: Le .*Reponses...pour une Anthropologie reflexives* .(1992) .L.J.D Wacquant & ،P. Bourdieu .Seuille

أنتوني غدنز. (2005). *علم الاجتماع* (الإصدار 4). (فايز الصباغ، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

أنصار بيار. (1992). *العلوم الاجتماعية المعاصرة*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

بيير بورديو. (1966). *أسباب عملية*. (أنور مغيث، المترجمون) طرابلس: الدار الجماهيرية للطبع والنشر.

جوردن مارشال. (2000). *موسوعة علم الاجتماع* (الإصدار 1، المجلد 3). (أحمد عبد الله زايد واخرون، المترجمون) المجلس الأعلى للثقافة والمشروع القومي للترجمة.

عبد الكريم بزاز. (2007). *علم اجتماع بيار بورديو*. قسنطينة: قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري.

عوض, م ,2012) .ديسمبر .(*قضايا التهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية نحو مقاربات جديدة لمكافحة التهميش في العالم العربي*. Récupéré sur http//:www.pdffactory.com .

مبروك بوطقطوقة. (بلا تاريخ). *أنثروبوس*. تاريخ الاسترداد 14 02, 2024، من http//:www.aranthropos.com

محسن عوض. (ديسمبر, 2012). *قضايا التهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية نحو مقاربات جديدة لمكافحة التهميش في العالم العربي*. تم الاسترداد من http//:www.pdffactory.com